

الطابع الشرقي في أعمال تولستوي

=====

كان الشرق يعني للأدباء الروس في القرن التاسع عشر القوقاز ، ولقد كتب تولستوي عدة أعمال أدبية صور فيها الحياة والواقع الشرقي منها (الغارة) ، (القوقاز) ، (الحاج مراد) ، (أسير القوقاز) وقد صور تولستوي الواقع الشرقي معتمدا على وصف الطبيعة الشرقية وصورة البطل الشرقي ولغة الحوار .

رسم تولستوي صورة واقعية ومفصلة لطبيعة القوقاز في قصة (الغارة) ولكنه لم يكتف بوصف الجبال والأحجار والمناظر الطبيعية التي تميز القوقاز وإنما حول السرد بعد ذلك إلى فلسفة إنسانية حيث كان المؤلف واضحا بقوة وموجها للقارئ وتحولت صورة الطبيعة إلى اتجاه أخلاقي ، فصورة القوقاز التي رسمها تولستوي بإسهاب ودقة من أول ظهور أشعة الشمس الأولى وحتى سكون الماء الرائع تقف على النقيض من الحرب باعتبارها حالة غير طبيعية و غير عادية ومنافية لطبيعة الإنسان ولجمال العالم .

وفي قصة (القوقاز) لم يكن تولستوي بحاجة لأن يقدم وصفا واقعيا مسهبا لجبال القوقاز حيث كان اهتمامه منصبا على معاناة بطله ومشاعره عند رؤية الجبال وكيف أحس بها ألبينين ، فمع هذا الإحساس عاد إليه الشعور بقوته وشبابه وأمله في حياة جديدة .

وفي قصة (الحاج مراد) اشتملت الصورة على مضمون رمزي بالإضافة إلى المضمون الأخلاقي والنفسي .

ويبدو اهتمام تولستوي العميق والدائم والملئ بالاحترام بحياة ومعيشة الشعب الشرقي عند رسمه لصورة أبطال قصة (أسير القوقاز) ، وهذا الاهتمام يظهر من جديد في رواية (الحاج مراد) ، إلا أن تولستوي أضاف بعدا نفسيا عند رسمه صورة البطل ، ويظهر في صورة البطل كل إنجازات

وقدرات تولستوي الروائي الذي يستطيع أن يرى في حركات الوجه والعينين ، وفي الضحك والإيماءة تقلبات الروح غير المرئية.

نقل تولستوي خاصة لغة الحوار بين أبطاله عن طريق تشويه اللغة الروسية والأخطاء النحوية واستخدام كلمات شرقية خاصة تحتاج إلى شرح وتعليق من جانب المؤلف ، وفي قصة (الحاج مراد) يظهر مستوى جديد للغة الحوار حيث أن البطل الذي لا يعرف كلمة واحدة باللغة الروسية يتحدث إما بلغته الأصلية أو عن طريق مترجم ويظهر الطابع الشرقي في الحكم والأمثال القوقازية ونفور بطل الرواية من الإسهاب في الحديث حيث أنه يفضل كإنسان شرقي وقوقازي الصمت البليغ كما يظهر الطابع الشرقي من طريقة الحديث وتركيب الحوار وصياغته.